منهج شيخ الإسلام في الرد على المخالف في مسائل الاعتقاد بقول إمامه ومُعظّمه

د/ حمد بن عبد المحسن التويجري (*)

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، وبعد ،،،

فق تعددت مشارب المخالفين واتجاهاتهم وانتماءاتهم ومذاهبهم ، ولعل من أقوى أساليب الرد ونقض أقوالهم أن تستدل على المخالف بقول إمامه أو من ينتمي له ويعظمه ، بل هذا يكون أحيانا أقوى في الرد عليه من أن تستدل عليه بنصوص الوحيين – وللأسف – ، كما أن له قوته لدى المطلع على الرد من خارج المذهب والساعي للحق والباحث عنه ، وفي أكثر الأحايين يجعل المردود عليه في موقف حرج ، ولا يكون لديه حجة قوية للإجابة عن ذلك ، فيلجأ إلى أساليب بعيدة كل البعد عن المنهج العلمي في الرد ، ومن أبرز من سلك هذا المنهج في الرد على المخالف شيخ الإسلام ابن تيمية ، وهذا يظهر جليا في غالب ردوده ، ولعل هذه السمة برزت في منهجه أكثر من غيره من العلماء بسبب كثرة اطلاعه على مصادر المخالفين ، ومعرفته بأقوال أئمتهم بما يفوق أحيانا أصحاب المذهب أنفسهم .

(*) عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – كلية أصول الدين والدعوة

وقد حاولت في هذا البحث المختصر أن أجمع نماذج من ردوده على هؤلاء المخالفين وفق هذا المنهج ، كنموذج يجلي الحقيقة باستخدام هذه الوسيلة المنهجية القوية في نقض أقوال المخالفين لمنهج أهل السنة والجماعة ، ليستفيد منه الباحثون – خاصة في تخصص العقيدة – في مجال المناقشة والرد والمناظرة ، ومقارعة الحجة بالحجة ، ولا شك أن هذا المنهج له قوته التي لا تخفى لكون المخالف قد يسلط سيف التأويل أو أسلوب الرد على الأدلة النقلية ، وحتى أحيانا على الأدلة العقلية ، بخلاف ما إذا احتججت عليه بقول إمامه والمنتسب إليه فقهيا أو عقديا أو سلوكيا . وهذا ما جعل شيخ الإسلام يكثر من هذا الأسلوب في ردوده خاصة على الأشاعرة وأهل التصوف ، لكثرة مخالفتهم لأئمتهم المتقدمين .

وقد جعلت هذا البحث في مقدمة ، وتمهيد ، وخمسة مباحث وخاتمة

كما سلكت فيه المنهج الاستقرائي التحليلي

وحرصت على إيراد نماذج من نقول شيخ الإسلام عن أئمة هؤلاء المردود عليهم كعينات وشواهد وليس المقصود الحصر ، وإنما للدلالة على صحة هذا المنهج وقوته ، واستخدام الأئمة له

والله اسأل الإعانة والتوفيق والسداد

التمهيد

قبول الحق من كل من جاء به :

من القواعد المهمة التي تميز بها أهل السنة في تقريراتهم في مسائل الاعتقاد وردودهم على المخالف فيها : قبولهم الحق ممن جاء به بغض النظر عن مذهبه وانتمائه ، مخالفا لهم في سائر أصولهم أو موافقا . وبرز هذا المنهج جليا لدى شيخ الإسلام ابن تيمية ، بل أصبح سمة بارزة له ، اعترف له بها أعداؤه ومناوئوه يقول شيخ الإسلام في هذا المعنى : (وليس كل من ذكرنا شيئا من قوله من المتكلمين وغيرهم نقول بجميع ما يقوله في هذا الباب وغيره، ولكن الحق يقبل من كل من تكلم به)(١)

بل ينص رحمه الله على أن بعض أئمة المخالفين أقرب للحق من أئمتهم الآخرين ، كما ذكر أن أئمة الأشعرية الذين كانوا في العراق كأبي الحسن الأشعري والباهلي، وابن مجاهد، والباقلاني، وغيرهم، أقرب إلى السلف من أشعرية خراسان كأبي بكر بن فورك ونحوه(٢)

وقال تلميذه ابنُ القَيّمِ: (فمن هداه اللهُ سُبحانَه إلى الأخذِ بالحقِّ حيثُ كان، ومع مَن كان، ولو كان مع من يُبغِضُه ويُعاديه، وردِّ الباطِلِ مع من كان، ولو كان مع مَن يحِبُّه ويُواليه؛ فهو ممَّن هُدِيَ لِما اختُلِفَ فيه من الحَقِّ) (٣)

---

(١) الفتوى الحموية ص ٥١٦

(٢) انظر نقض التأسيس ٢/ ٣٤٤

(٣) الصواعق المرسلة٢/٥١٦

(٤) أخرجه مطولاً البخاري معلقاً بصيغة الجزم (٢٣١١)، وأخرجه موصولاً البيهقي في ((شعب الإيمان)) (٢٣٨٨) واللفظ لهما، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (١٠٧٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. صحح حديث أبي هريرة بتمامه ابن الملقن في ((البدر المنير)) (٧٣٥/٦)، وابن باز في ((مجموع الفتاوى)) (٥٠/١١)، والألباني في ((صحيح الترغيب)).(610)

والأصل في هذا عند أهل السنة حديث أبي هريرة رضي الله عنه عندما قال له النبي صلى الله عليه وسلم في إبليس (صدقك وهو كذوب) (٤)

ولاشك أن المنهج الذي سلكه شيخ الإسلام في الرد على المخالفين بأقوال شيوخهم الذي يعتزون بالانتساب ليهم له قيمته الكبرى وأثره البالغ وذلك لأن ما نقله عن أئمتهم ينقله بالنص من مصادرهم الأصلية دون زيادة أو نقصان ، ودون نقل بالمعنى ، أو تأويل وتحريف لكلامهم ، وهذا ما أثبته المحققون لتراثه حيث قابلوا تلك النقول بأصولها ووجدوها كما نقل حرفيا .

وقد كانت مصادره في معرفة أقوال المخالفين غالبا ما يرجع لمصادرهم الأصلية ، ولا ينقل بالواسطة إلا ما ندر .

كما يلاحظ أن غالب ما أورده الشيخ من الاستشهاد بكلام أئمة هؤلاء المخالفين غالبا ما يذكره ويستشهد به في معرض الرد وليس في معرض التقرير

وكان الهدف من استشهاده بهذه النقول لإقامة الحجة على أتباع ذلك المخالف من قول متبعوهم، فيقال للأتباع: هذا قول إمامكم، أو من ترضَوْنه، فلماذا لا تأخذون به؟!

كما أنه أحيانا يورد كلام هذا المخالف الذي فيه موافقة لقول أهل الحق مع أنه مخالف لهم في مواضع أخرى ليوضح بأنه قد يكون فيما قرّره المبتدع – مثلاً – في هذا الموضع تقرير لنقض بدعته في مواضع أخرى، فيُذكر قوله هنا؛ لبيان تناقضه في قوله الآخر، الذي خالف به أهل الحق.

وأحيانا يورد كلام هذا المخالف ويستشهد به لقوة أسلوبه وعبارته في رد كلام المخالف للجميع ، كما لو استشهد بكلام بعض أئمة الأشاعرة في نقض شبهات وأصول المعتزلة، أو بكلام بعض المعتزلة في نقض كلام الفلاسفة، وهكذا

وقد تجلت موضوعية شيخ الإسلام في ذلك بكل وضوح من خلال اعترافه الصريح بأن هؤلاء المخالفين عندهم من الحق والصواب ما يجب قبوله والاعتراف به ، وهذه بعض الشواهد :

يقول رحمه الله : (وقد صنّف العلماء كتبًا في كَشْف أسرارهم، وهَتْك استارهم – يعني الباطنية – مثل كتاب القاضي أبي بكر الباقلاني، والقاضي عبد الجبار الهمداني، وكتاب الغزالي، ونحوهم". ا.هـ)([1])

ويقول رحمه الله: ((ويعلمون . أي أهل السنة . أن جنس المتكلمين أقرب من جنس الفلاسفة، وإن كان الفلاسفة قد يصيبون أحياناًَ، كما أن جنس المسلمين خير من جنس أهل المكذبين، وإن كان يوجد من أهل الكتاب من له عقل وصدق وأمانة، ولا يوجد في كثير من المنتسبين إلي الإسلام، كما قال تعالي: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾(آل عمران: من الآية٧٥).والإنسان مهما كملت رتبته في الدين ورسخ مقامه في الإسلام معرض للأخطاء فلا يجوز أبداً أن تطرح جميع سيئاته واجتهاداته وأقواله، بل ننظر إلي كلامه وأقواله الموافقة للحق ونتقبلها ونعرض عن أخطائه المخالفة للحق،ونتقبلها ونعرض عن أخطائه المخالفة للحق، والموازنة بين هذا وهذا عين الإنصاف وأما مجرد تتبع الأخطاء وتصيد العثرات والغفلة عن حسنات الناس، فهو دليل واضح علي فساد النية وسوء القصد،))([2])

ويقولأيضا : ((ثم ما من هؤلاء إلا من له في الإسلام مساع مشكورة وحسنات مبرورة، له من الرد علي كثير من أهل الإلحاد والانتصار لكثير من أهل السنة والدين، مما لا يخفي علي من عرف أحوالهم، وتكلم فيهم بعلم وصدق وعدل وإنصاف.....

---

(٢)"منهاج السنة" (٢٥٨/١): "

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٩ / ٢١١)

ونحن نبين هنا ما ننصر به أهل الكلام، الذين هم أقرب إلى الإسلام والسنة من هؤلاء الفلاسفة، وإن كانوا ضالين فيما خالفوا به السنة.)) ([٤])

قال أيضا في كلامه عن ابن حزم : ((وكذلك أبو محمد بن حزم فيما صنفه من الملل والنحل، وإنما يستحمد بموافقة السنة والحديث مثل ما ذكره في مسائل القدر والإرجاء ونحو ذلك، بخلاف ما انفرد به من قول في التفضيل بين الصحابة، وكذلك ما ذكره في باب الصفات، فإنه يستحمد فيه بموافقة السنة والحديث؛ لكونه يثبت الأحاديث الصحيحة، ويعظم السلف، وأئمة الحديث، ويقول: إنه موافق للإمام أحمد في مسألة القرآن الكريم وغيرها، ولا ريب أنه موافق له ولو في بعض ذلك. لكن الأشعري ونحوه أعظم موافقة للإمام أحمد بن حنبل، ومن قبله من الأئمة في القرآن الكريم والصفات، وإن كان أبو محمد ابن حزم في مسائل الإيمان والقدر أقوم من غيره، وأعلم بالحديث تعظيماً له ولأهله من غيره. ولكن قد خالط من أقوال الفلاسفة والمعتزلة في مسائل الصفات ما صدفه عن موافقة أهل الحديث في معاني مذهبهم من ذلك، فوافق هؤلاء في اللفظ وهؤلاء في المعني.

وبمثل هذا صار يذمه من يذمه من الفقهاء والمتكلمين وعلماء الحديث باتباعه لظاهر لا باطن له، كما نفي من عبادات القلوب إلي ما في كلامه من الوقيعة في الأكابر والإسراف في نفس المعاني، ودعوى متابعة الظاهر، وإن كان له من الإيمان والدين والعلوم الواسعة الكثيرة ما لا يدافعه إلا مكابر. ويوجد في كتبه من كثرة الإطلاععلي الأقوال والمعرفة بالأحوال، والتعظيم لدعائم الإسلام، ولجانب الرسالة ما لا يجتمع مثله لغيره.

---

(٤) المرجع السابق (٩/ ٢١١)

فالمسألة التي يكون فيها حديث يكون جانبه فيها ظاهر الراجح، وله من التميز بين الصحيح والضعيف، والمعرفة بأحوال السلف، ما لا يكاد يقع مثله لغيره من الفقهاء))([5])

وبهذا يتبين إنصافه مع مخالفيه ، وأن ما سلكه من هذا المنهج له قوته في الرد على المخالف ، وإبطال حجته وما ذهب إليه ، لأنه سيبقى في موقف محرج ، إما القول بتخطئة إمامه ومعظمه ، وهذا مستحيل بل متعذر عند هؤلاء ، لما هو معروف عنهم من التعصب الأعمى ، وإما القول بقول إمامه والرجوع للحق والصواب ، وهذا هو المطلوب .

وهذه بعض الأمثلة على الاحتجاج على المخالف بقول إمامه ومعظمه :

(٥) المرجع السابق (٥ / ٢٤٩)

المبحث الأول
الاحتجاج على المنتسبين لأهل الحديث بأقوال أئمتهم

ساق شيخ الإسلام هذه النقول والآثار ليحتج بها على كل مخالف ممن ينتسب لأهل الحديث في بعض مسائل الاعتقاد :

روى أبو بكر البيهقي في «الأسماء والصفات» بإسناد صحيح عن الأوزاعي قال: «كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته» (١).

عن ابن المدينى [لما سُئل: ما قول] أهل الجماعة؟ قال: «يؤمنون بالرؤية والكلام، وأن الله فوق السماوات على العرش استوى؛ [فسئل عن قوله تعالى] {مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ} [المجادلة:٧] ، فقال: اقرأ ما قبلها: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} (٢)

وروى أيضًا عن أبي عيسى الترمذي قال: «هو على العرش كما وصف في كتابه، وعلمه وقدرته وسلطانه في كل مكان» (٣)

وروى عن أبي زُرْعَة الرازي أنه سئل عن تفسير قوله تعالى {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه:٥] فقال: «تفسيره كما تقرأ، هو على العرش، وعلمه في كل مكان، من قال غير هذا فعليه لعنة الله»(٤)

---

(٦) رواه البيهقي في الأسماء والصفات ١٥٠/٢ ، والذهبي في السير ١٢٠/٧ وصححه شيخ الإسلام في الحموية ص ٣٠٠

(٧) ذكره الذهبي في العلو ص ١٢٩

(٨) رواه في سننه ٤٠٤/٥

(٩) رواه الذهبي في العلو ١٣٧

وروى عبد الله بن أحمد وغيره بأسانيد صحاح عن ابن المبارك أنه قيل له: بماذا نعرف ربنا؟ قال: «بأنه فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه، ولا نقول كما تقول الجهمية: أنه ههنا في الأرض»(١)

وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة . إمام الأئمة: «من لم يقل: إن الله فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه، وجب أن يُستتاب، فإن تاب وإلا ضُربت عنقه ثم أُلقي على مزبلة، لئلا يتأذى بنتن ريحه أهل القبلة، ولا أهل الذمة»(٢)

عن عباد بن العوام الواسطي . إمام أهل واسط، من طبقة شيوخ الشافعي وأحمد . قال: «كلمت بشرًا المريسي وأصحاب بشر، فرأيت آخر كلامهم ينتهي إلى أن يقولوا: ليس في السماء شيء» (٣)

هذه بعض النقول عن أئمة أهل الحديث ذكرها شيخ الإسلام وأوردها في مواضع متعددة من كتبه(٤)

(١٠)رواه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة ١١١/١ والبخاري في خلق أفعال العباد ص ٣١

(١١) رواه الحاكم في معرفة علوم الحديث ص٧٤

(١٢)رواه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة ١٢٦/١

(١٣) انظر الحموية من ص ٢٩٩ – ٣٤٧

المبحث الثاني
الاحتجاج على المنتسبين للمذاهب الفقهية بأقوال أئمتهم

غالب المردود عليهم ينتمون إلى أحد المذاهب الفقهية الأربعة المشهورة ، بل يغلب على بعضهم التعصب لذلك ، فالشيخ رحمه الله حرص أن يورد بعض النقول عن كبار أئمة هذه المذاهب مما خالف فيه بعض اتباعهم ، فهو يقول لهم بلسان الحال والمقال هؤلاء أئمتكم ومن تعظمونهم وتقلدونهم في المسائل العملية – الفقهية – فهلا قلدتموهم في سائل أصول الدين فهي أهم وأولى

وهذه نماذج من تلك النقول :

أولا :الحنفية

نقل عن أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي، قال: سألت أبا حنيفة عن الفقه الأكبر؟ فقال :لا تكفرن أحدًا بذنب، ولا تنفِ أحدًا به من الإيمان، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك. ولا] تتبرأ من [أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا توالي أحدًا دون أحد، وأن ترد أمر عثمان] وعليّ إلى الله عز وجل .....إلى أن قال :قال» أبوحنيفة «عمن قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض: فقد كفر؛ لأن الله تعالى يقول} :الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى] {طه:٥ [وعرشه فوق سبع سماوات، قلت :فإن قال: إنه على العرش استوى، ولكنه يقول لا أدري العرش في السماء أم في الأرض؟ قال :هو كافر، لأنه أنكر أن يكون في السماء، لأنه تعالى في أعلى عليين، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل . وفي لفظ . سألت أبا حنيفة عمن يقول :لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض .قال :قد كفر؛ لأن الله تعالى يقول} :الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى] {طه:٥ [وعرشه فوق سبع سماوات، قال :فإنه يقول} :عَلَى الْعَرْشِ

اسْتَوَى {ولكن لا يدري العرش في الأرض أو في السماء.قال :إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر) ([١])

ونقل أيضًا عن ابن أبي حاتم أن هشام بن عبيد الله الرازي . صاحب محمد بن الحسن، قاضى الرَّي . حبس رجلاً

في التجهم، فتاب فجيء به إلى هشام ليطلقه، فقال :الحمد لله على التوبة. فامتحنه هشام، فقال :أتشهد أن الله على عرشه بائن من خلقه؟ فقال :أشهد أن الله على عرشه، ولا أدري ما بائن من خلقه .فقال» :ردوه إلى الحبس، فإنه لم يتب«([٢])

عن محمد بن الحسن . صاحب أبي حنيفة . قال: «اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الربعز وجل :من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسر اليوم شيئًا من ذلك، فقد خرح عما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وفارق الجماعة، فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا، ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا، فمن قال بقول جَهْم فقد فارق الجماعة، فإنه قد وصفه بصفة لا شيء» اهـ([٣])

هذه نماذج مما احتج به شيخ الإسلام على المخالفين ممن ينتمي للمذهب الحنفي ([٤])

ثانيا :المالكية

---

(١٤) الفقه الأكبر ص ٤٠–٥٠

(١٥)درء تعارض العقل والنقل ٢٦٥/٦

(١٦)شرح أصول أهل السنة اللالكائي ٤٣٢/٢

(١٧) انظر الفتوى الحموية ص ٣٢١–٣٣٢

الله في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو من علمه مكان :سمعت مالك بن أنس يقول :عن عبد الله بن نافع الصائغ، نقل وعن يحيى بن يحيى قال كنا عند مالك بن أنس، فجاء رجل فقال : الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى كيف استوى؟ فأطرق مالك ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعًا،)([1])

وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين . الإمام المشهور من أئمة المالكية في كتابه الذي صنفه في أصول السنة قال فيه: باب الإيمان بالعرش قال :ومن قول أهل السنة: إن الله عز وجل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثم استوى عليه كيف شاءكما أخبر عن نفسه في قوله تعالى {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ} وقوله تعالى [الحديد:٤] {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}

إلى أن قال :قال: واعلم بأن أهل العلم بالله وبما جاءت به أنبياؤه ورسله يرون الجهل بما لم يخبر به تعالى عن نفسه علمًا، والعجز عن ما لم يدع إليه إيمانًا، وأنهم إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيث انتهى في كتابه، وعلى لسان نبيه

روينا عن مالك بن أنس، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، والأوزاعي، ومعمر بن راشد في أحاديث الصفات أنهم كلهم قالوا: أمِرُّوها كما جاءت .([2])

ونقل عن ابن عبد البر قوله :ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من نقل الثقات، أو جاء عن الصحابة رضي الله عنهم، فهو علم يُدَان به؛ وما حدث بعدهم ولم يكن له أصل فيما جاء عنهم، فهو بدعة وضلالة .([3])

---

(١٨) شرح أصول أهل السنة ٣٩٨/٢ الأسماء والصفات البيهقي ١٥٠/٢

(١٩)أصول السنة لابن أبي زمنين ١/ ٣٨٣

(٢٠)جامع بيان العلم وفضله ١١٨/٢

وقال في شرح الموطأ :لما تكلم على حديث النزول قال: هذا حديث ثابت من جهة النقل، صحيح الإسناد، لا يختلف أهل الحديث في صحته، وهو منقول من طرق سوى هذه، من أخبار العدول عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه دليل على أن الله في السماء على العرش من فوق سبع سماوات، كما قالت الجماعة ..... والدليل على صحة قول أهل الحق قول الله . وذكر بعض الآيات . إلى أن قال: وهذا أشهر وأعرف عند العامة والخاصة من أن يحتاج إلى أكثر من حكايته، لأنه اضطرار لم يوقفهم عليه أحد، ولا أنكره عليهم مسلم .

وقال :أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله : (ما نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابعهم)هو على العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك من يحتج بقوله

وقال أبو عمر أيضًا :أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة؛ لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك([1])

هذه بعض النقول التي أوردها الشيخ عن هؤلاء الأكابر من أئمة المذهب المالكي وممن ينتسب إليهم كافة المالكية ([2])

ثالثا :الشافعية

يقول شيخ الإسلام : (وقلت لمن خاطبني من أكابر الشافعية: لأبين أنما ذكرته منقول السلف وقول أئمة أصحاب الشافعي، وأذكر قول الأشعري، وأئمة أصحابه التي ترد على هؤلاء الخصوم، ولينتصر كل شافعي ،وكل من قال بقول الأشعري الموافق لمذهب السلف، وأبين أن القول المحكم عنه في تأويل الصفات الخبرية

(٢١)التمهيد ١٢٨/٧-١٤٥

(٢٢)أورد هذه النقول في الحموية وفي درء تعارض العقل والنقل

قولا لا أصل له في كلامه، وإنما هوقول طائفة من أصحابه ،فالأشعرية قولان ليسا للأشعري "([1])

وقال الشافعي» :خلافة أبي بكر رضي الله عنه حق قضاها الله في سمائه، وجمع عليه قلوب عباده)([2])

رابعا :الحنابلة

ونقل عن القاضي أبي يعلى في كتاب تأويل الصفات :لا يجوز رد هذه الأخبار ولا التشاغل بتأويلها والواجب حملها على ظاهرها، وأنها صفات الله، لا تشبه بسائر الموصوفين بها من الخلق، ولا نعتقد التشبيه فيها، لكن على ما روي عن الإمام أحمد وسائر الأئمة. ..... ويدل على إبطال التأويل: أن الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها، ولم يتعرضوا لتأويلها، ولا صرفها عن ظاهرها، فلو كان التأويل سائغًا لكانوا إليه أسبق، لما فيه من إزالة التشبيه ورفع الشبهة)([3])

---

(٢٣)درء تعارض العقل والنقل ٤٦/٨

(٢٤)اثبات صفة العلو لابن قدامة ص ١٨١ وانظر الحموية ص ٣٤٦

(٢٥)إبطال التأويلات ٤٣/١ وانظر الحموية ص٤٨٧

المبحث الثالث

الاحتجاج على المنتسبين لأهل التصوف بأقوال أئمتهم

نقل شيخ الإسلام عن جملة من أهل التصوف ممن وافقوا أهل السنة في بعض الأصول والمسائل العقدية محتجا بها على أتباعهم ممن خالفوا الأدلة وحادوا عن منهج السلف ولم يلتزموا معظميهم وممن يكثرون النقل عنهم والحكايات لهم فيما وافقوهم فيه ، علما أن جملة منها منسوب لهم ولا تثبت صحته ، ومن الأمثلة على ذلك :

ما نقله عن أبي نعيم الأصبهاني صاحب» الحلية «في عقيدة له في أولها: «طريقتنا طريق المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة، قال» :فمما اعتقدوه أن الأحاديث التي ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم في العرش واستواء الله يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه، وأن الله بائن من خلقه، والخلق بائنون منه، لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم، وهو مستوٍ على عرشه في سمائه دون أرضه وخلقه«([1])

ونقل أيضا عن أبي نعيم في كتاب» محجة الواثقين ومدرجة الوامقين «تأليفه: «وأجمعوا أن الله فوق سماواته، عالٍ على عرشه مستوٍ عليه، لا مستولٍ عليه كما تقول الجهمية إنه بكل مكان، خلافًا لما نزل في كتابه} :أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ] {الملك:١٦ [،} إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ] {فاطر:١٠ [،} الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى] {طه:٥ [، له العرش المستوي عليه والكرسي الذي وسع السماوات والأرض، وهو قوله وتعالى} :وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ] {البقرة:٢٥٥ [، وكرسيه جسم،

(٢٦)العلو للذهبي ص١٧٦ وانظر : الفتاوى ١٩/٥ ، الدرء ٢٥٢/٦

والسماوات السبع والأرضون السبع عند الكرسي كحلقة في أرض فلاة، وليس كرسيه علمه كما قالت الجهمية)([1])

ونقل عن معمر بن أحمد الأصبهاني . شيخ الصوفية في حدود المائة الرابعة في بلاده . قال : (أحببت أن أوصي أصحابي بوصية من السنة وموعظة من الحكمة، وأجمع ما كان عليه أهل الحديث والأثر، وأهل المعرفة والتصوف من

وأن الله استوى على عرشه بلا كيف، ولا تشبيه، ولا تأويل، والاستواء معقول والكيف فيه مجهول، وأنه عز وجل بائن من خلقه، والخلق منه بائنون بلا حلول ولا ممازجة، ولا اختلاط ولا ملاصقة، لأنه المنفرد البائن من خلقه، الواحد الغني عن الخلق

وأن الله عز وجل سميع، بصير، عليم، خبير، يتكلم، ويرضى، ويسخط، ويضحك، ويعجب، ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكًا، وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف شاء فيقول» :هل من داع فأستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ حتى يطلع الفجر «، ونزول الرب إلى السماء بلا كيف ولا تشبيه، ولا تأويل، فمن أنكر النزول أو تأول فهو مبتدع ضال، وسائر الصفوة من العارفين على هذا)([2])

ونقل أيضا عن الفضيل بن عياض . قال:(وكل هذا :النزول، والضحك، وهذه المباهاة، وهذا الاطلاع كما يشاء أن ينزل، وكما يشاء أن يباهي، وكما يشاء أن يضحك، وكما يشاء أن يطلع. فليس لنا أن نتوهَّم كيف وكيف فإذا قال الجهمي:أنا أكفر برب يزول عن مكانه فقل :أؤمن برب يفعل ما يشاء)([3])

---

(٢٧)الفتاوى ٧١/١٨

(٢٨)الدرء ٢٥٢/٦ الفتاوى ١٩١/٥ الحموية ص٣٧٧

(٢٩)خلق أفعال العباد للبخاري ص٣٦ اللالكائي ٤٥٢/٢ وانظر الدرء ٢٣/٢

وقال عمرو بن المكي :(القريب فيقربه من حبل الوريد، البعيد في علوه من كل مكان بعيد، ولا يشبه بالناس}إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ {القائل} :أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ • أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا] {الملك:١٧.١٦ [تعالى وتقدس أن يكون في الأرض كما في السماء جل عن ذلك علوًا كبيرًا)([1])

ونقل عن الإمام أبي عبد الله الحارث بن إسماعيل بن أسد المحاسبي : (وأن قوله} عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ} {أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ} {إِذًا لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً {فهذا وغيره مثل قوله} :تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ} {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ {هذا منقطع يوجب أنه فوق العرش، فوق الأشياء كلها منزه عن الدخول في خلقه، لا يخفي عليه منهم خافية، لأنه أبان في هذه الآيات أن ذاته بنفسه فوق عباده؛ لأنه قال} :أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ {يعني فوق العرش، والعرش فوق السماء، لأن من قد كان فوق كل شيء على السماء في السماء، وقد قال مثل ذلك قال} :فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ] {التوبة:٢ [يعني على الأرض، لا يريد الدخول في جوفها. وكذلك قوله} وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ] {طه:١٧ [يعني: فوقها عليها. ..... }وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ • أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى {ثم استأنف الكلام فقال} :وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا] {غافر:٣٦، ٣٧ [فيما قال لي إن إلهه فوق السموات فبين الله سبحانه أن فرعون ظن بموسى أنه كاذب فيما قال، وعمد لطلبه حيث قاله من الظن بموسى إنه كاذب، ولو أن موسى قال :إنه في كل مكان بذاته، لطلبه في بيته أو بدنه، أو حُشِّه، فتعالى الله عن ذلك، ولم يجهد نفسه ببنيان الصرح) ([2])

---

(٣٠)الحلية ٢٩١/١٠ تاريخ بغداد٢٢٣/١٢ وانظر الحمويةص٣٨١

(٣١)فهم القرآن للحارث المحاسبي ص ،٣٣٢ وانظر : الحموية ص٣٨٨

ونقل عن الإمام أبي عبد الله محمد بن خفيف :(ومما تعرف الله إلى عباده أن وصف نفسه أن له وجهًا موصوفًا بالجلال والإكرام، فأثبت لنفسه وجهًا، وذكر الآيات. ..... ثم إن الله تعرف إلى عباده المؤمنين، وأنه قال :له يدان قد بسطهما بالرحمة، وذكر الأحاديث في ذلك، ثم ذكر شعر أمية بن أبي الصلت، ثم ذكر حديث» :يلقى في النار وتقول هل من مزيد؟ حتى يضع فيها رجله «، وهي رواية البخاري، وفي رواية أخرى» :يضع عليها قدمه « ..... ثم قال :فهذه الروايات قد رويت عن هؤلاء من صدر هذه الأمة موافقًا لقول النبي صلى الله عليه وسلم متداولاً في الأقوال، ومحفوظًا في الصدور، لا ينكر خلف عن سلف ولا ينكر عليهم أحد من نظرائهم، نقلتها الخاصة والعامة مدونة في كتبهم .. .)([1])

ونقل عن أبي محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي أو الجيلاني قوله :(وهو بجهة العلو، مستو على العرش، محتو على الملك، محيط علمه بالأشياء،} إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ] {فاطر:١٠ [،} يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الْأَرْضِ ثم يعرج إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ] {السجدة:٥ [، ولا يجوز وصفه بأنه في مكل مكان بل يقال :إنه في السماء على العرش كما قال} :الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى] {طه:٥([2])

(٣٢)نقل عنه شيخ الإسلام هذا وكلاما طويلا يخالف ما عليه المتصوفة المتأخرون انظر الحموية ص ٤٠٥-٤٧٥

(٣٣)الفتاوى ٦٠٤/١١

المبحث الرابع
الاحتجاج على المنتسبين لجمهور الأشاعرة بأقوال أئمتهم

من جملة ما رد به شيخ الإسلام على المخالفين رده المطول على الأشاعرة فيما خالفوا فيه جمهور أهل السنة وسلف هذه الأمة ، وقد تصدى لمخالفاتهم في مؤلفات ومطولات عدة وناقشهم بالمنقول والمعقول ، ومن اقوى أساليب الرد عليهم أنه احتج عليهم بقول أئمتهم المعظمين عندهم ومن ينتسبون إليهم ويكثرون الاستشهاد بأقوالهم ، فأثبت الشيخ بهذه النقول عن هؤلاء الأئمة أن جزءا من أقوال متأخري الأشاعرة وما استقر عليه المذهب مخالف لما قرره أسلافهم ، وهذه بعض الأمثلة على ذلك :

ففي موضوع الصفات الخبرية التي أوّلها الرازي وأصحابه نقل شيخ الإسلام كلام الأشعري في الإبانة والمقالات ،وكلام الباقلاني ثم قال: "فإذا كان قول ابن كلاب والأشعري وأئمة أصحابه، وهو الذي ذكروا أنه اتفق عليه سلف الأمة وأهل السنة أن الله فوق العرش وأن له وجهاً ويدين، وتقرير ما وردفي النصوص الدالة على أنه فوق العرش وأن تأويل استوى بمعنى استولى هو تأويل المبطلين، ونحو ذلك، علم أن هذا الرازي ونحوه هم مخالفون لأئمتهم في ذلك، وأن الذي نصره ليس هو قول ابن كلاب والأشعري وأئمة أصحابه، وإنما هو صريح قول الجهمية والمعتزلة ونحوهم، وإن كان قد قاله بعض متأخري الأشعرية كأبي المعالي ونحوه(١)"

وفي معرض رده على دليل حدوث الأجسام الذي أوجبه كثير من متأخري الأشعرية كالجويني يقول شيخ الإسلام عنه: "وبالجملة فإنه وإن كان أبو المعالي ونحوه يوجبون هذه الطريقة، فكثير من أئمة الأشعرية – وأكثرهم – يخالفونه في ذلك ولا يوجبونها، بل إما أن يحرموها، أو يكرهوها ،أو يبيحوها، وغيرها،

(٣٤)نقض التأسيس ٢/١٥-٣٥

ويصرحون بأن معرفة الله تعالى لا تتوقف على هذه الطريقة ولا يجب سلوكها، ثم هم قسمان: قسم يسوقها، ويسوق غيرها، ويعدها طريقاً من الطرق، فعلى هذا إذا فسدت لم يضرهم، والقسم الثاني: يذمونها، ويعيبونها، ويعيبون سلكوها وينهون عنها، إما نهي تنزيه وإما نهي تحريم([1])"

وعند ذكر الصفات الخبرية وغيرها مما يتأوله الجويني وأصحابه، قال شيخ الإسلام راداً عليه" :فدعواه أن دلالة القرآن والأخبار على ذلك ليست قطعية يخالفه في هذه الدعوى أئمة السلف وأهل الحديث والفقه والتصوف، وطوائف من أهل الكلام من أصحابه وغيرهم، فإن عندهم دلالة النصوص على ذلك قطعية، وأما الأخبار فأكثر أصحابه أنها إذا تلقيت بالقبول أفادت العلم، كما تقدم ذكرهم لذلك عن الأستاذ أبي إسحاق، وهذا الذي ذكره أبو بكر ابن فورك هو معنى ما ذكره الأشعري في كتبه عن أهل السنة والحديث، وذكر أن قوله، وإن الإيمان بموجب هذه الأخبار واجب)(٢)

وفي مسألة دليل حدوث الأجسام، ذكر شيخ الإسلام براهين الرازي على حدوث الأجسام وحدوث العالم، ثم ذكر اعتراضات الآمدي على كل واحدة منها وقال: "وكان المقصود ما ذكروه في تناهي الحوادث، ولهذ الم يعتمد الآمدي في مسألة حدوث العالم على شيء من هذه الطرق، بل بين ضعفها، واحتج بما هو مثلها أو دونها في الضعف ... والوجوه التي ضعف بها الآمدي ما احتج به من قبله على حدوث الأجسام يوافق كثير منها ما ذكره الأرموي، وهو [أي الآمدي] متقدم على الأرموي، فإما أن يكون الأرموي رأى كلامه وأنه صحيح فوافقه، وإما أن يكون وافق الخاطر الخاطر كما يوافق الحافر الحافر، أو يكون الأرموي والآمدي أخذا

---

(٣٥)المصدر السابق ٢٤٩/٢

(٣٦)المصدر السابق ٨٦/٢

ذلك أو بعضه من كلام الرازي أو غيره ،وهذا الإحتمال أرجح ... وبكل حال فهما – مع الرازي ونحوه – من أفضل بني جنسهم من المتأخرين، فاتفاقهما دليل على قوة هذه المعارضات، لاسيما إذا كان الناظر فيها ممن له بصيرة من نفسه، يعرف بها الحق من الباطل في ذلك، بل يكون تعظيم هل هذه البراهين لأن كثيرا من المتكلمين من هؤلاء وغيرهم اعتمد عليها في حدوث الأجسام، فإذا رأى هؤلاء وغيرهم من النظار قدح فيها وبين فسادها علم أن نفس النظار مختلفون في هذه المسألة، وأن هؤلاء الذين يحتجون بها هم بعينه يقدحون فيها وعلى القدح فيها استقر أمرهم، وكذلك غيرهم قدح فيها كأبي حامد الغزالي وغيره"(١)

ونقل عن أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري الذي ينتسب له الأشاعرة قاطبة ، في كتابه الذي صنفه في» اختلاف المصلين، ومقالات الإسلاميين« ... مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث جملة: قول أصحاب الحديث وأهل السنة : وأن الله على عرشه كما قال تعالى} الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى] {طه:٥[وأن له يدين بلا كيف كما قال تعالى}:خَلَقْتُ بِيَدَيَّ] {ص:٧٥ [وكما قال تعالى: بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ] {المائدة:٦٤[وأن له عينين بلا كيف كما قال تعالى} :تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا] {القمر:١٤ [وأن له وجهًا كما قال تعالى} :وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ] {الرحمن:٢٧. [..... إلى أن قال:ويقرون أن الله يجيء يوم القيامة كما قال تعالى} :وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا] {الفجر:٢٢ [، وأن الله يقرب من خلقه كيف يشاء؛ كما قال} :وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ] {ق:١٦. [وأنه استوى على العرش كما قال تعالى} الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى] {طه:٥ [، ولا نتقدم بين يدي الله ورسوله في القول؛] بل [نقول: استوى بلا كيف وأن له وجهًا، كما قال تعالى} :وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ] {الرحمن:٢٧ [، وأن له يدين كما قال تعالى} :خَلَقْتُ بِيَدَيَّ] {ص:٧٥[

(٣٧)الدرء ٣٠/٣

وأن له عينين كما قال} :تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا] {القمر:١٤ [وأنه يجيء يوم القيامة هو وملائكته كما قال تعالى} :وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا] {الفجر:٢٢ [وأنه ينزل إلى السماء الدنيا كما جاء في الحديث، ولم يقولوا شيئًا إلا ما وجدوه في الكتاب وجاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) ([1])

ونقل أيضا عن أبي الحسن الأشعري في كتابه الذي سماه «الإبانة في أصول الديانة» :

(وأن الله مستوٍ على عرشه كما قال: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه:٥] . وأن له وجهاً كما قال: {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن:٢٧] ، وأن له يدين بلا كيف كما قال: {خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص:٧٥] ، وكما قال: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} [المائدة:٦٤] ، وأن له عينين بلا كيف كما قال: {تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا} [القمر:١٤] . إلى أن قال: ونصدق بجميع الروايات التي أثبتها أهل النقل من النزول إلى سماء الدنيا، وأن الرب عز وجل يقول) :هل من سائل؟ هل من مستغفر؟ (وسائر ما نقلوه وأثبتوه خلافاً لما قال أهل الزيغ والتضليل، ونعول فيما اختلفنا فيه إلى كتاب ربنا وسنة نبينا وإجماع المسلمين، وما كان في معناه، ولا نبتدع في دين الله ما لم يأذن لنا به، ولا نقول على الله ما لا نعلم.ونقول: إن الله يجيء يوم القيامة كما قال} :وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً] {الفجر:٢٢ [، وإن الله يقرب من عباده كيف شاء كما قال} :وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ] {ق:١٦ [، ..... قال: (ونسلم بالرواية الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التي رواها الثقات عدلاً عن عدل حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٣٨)مقالات الإسلاميين ص٢٠٩ وانظر الحموية ص٤٩٠

إلى أن قال: ونصدق بجميع الروايات التي أثبتها أهل النقل في النزول إلى السماء الدنيا) .

ثم قال: باب ذكر الاستواء على العرش. فقال: إن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟ قيل له: نقول: إن الله تعالى مستوٍ على عرشه كما قال: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه:٥] ، وقال سبحانه: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} [فاطر:١٠] ، وقال تعالى: {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ} [النساء:١٥٨] ، {يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ} [السجدة:٥] ، وقال تعالى حكاية عن فرعون: {يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ} [غافر:٣٦] * {أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِباً} [غافر:٣٧] كذَّب موسى في قوله: إن الله فوق السماوات وقال تعالى: {أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الأَرْضَ} [الملك:١٦] ، فالسماوات فوقها العرش، ولما كان العرش فوق السماوات قال: {أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ} [الملك:١٦] ؛ لأنه مستوٍ على العرش الذي هو فوق السماوات، وكل ما علا فهو سماء، فالعرش أعلى السماوات، وليس إذا قال: {أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ} [الملك:١٦] يعني: جميع السماوات، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السماوات، ألا ترى أن الله عز وجل ذكر السماوات فقال تعالى: {وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً} [نوح:١٦] ولم يرد أن القمر يملأهن وأنه فيهن جميعاً. ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء؛ لأن الله على عرشه الذي هو فوق السماوات، فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش، كما لا يحطونها إذا دعوا إلى الأرض] . إلى أن قال : [فصل: وقد قال القائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إن معنى قوله: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه:٥] أنه استولى وقهر وملك، وأن الله عزوجل في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله على عرشه كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة، فلوكان كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة؛ لأن الله قادر

على كل شيء، والأرض فالله قادر عليها، وعلى الحشوش وعلى كل ما في العالم، فلو كان الله مستوياً على العرش بمعنى: الاستيلاء –وهو عز وجل مستولٍ على الأشياء كلها– لكان مستوياً على العرش وعلى الأرض، وعلى السماء وعلى الحشوش والأقذار؛ لأنه قادر على ا لأشياء مستولٍ عليها، وإذا كان قادراً على الأشياء كلها، ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول: إن الله مستوٍ على الحشوش والأخلية لم يجزأن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء، الذي هو عام في الأشياء كلها، ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص بالعرش دون الأشياء كلها، وذكر دلالات من القرآن والحديث والإجماع والعقل] . ([1])

ونقل عن الباقلاني بعد أن ذكر أن القاضي أبابكر محمد بن الطيب الباقلاني المتكلم –هو أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري، ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده– قال في كتاب (الإبانة) تصنيفه: (فإ نقال قائل: فما الدليل على أن لله وجهاً ويداً؟ قيل له قوله: {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإكْرَامِ} [الرحمن:٢٧] ،وقوله تعالى: {مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص:٧٥] ،فأثبت لنفسه وجهاً ويداً. وقال: فإن قال: فهل تقولون إنه في كل مكان ؟قيل له: معاذ الله! بل مستوٍ على عرشه، كما أخبر في كتابه فقال: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه:٥] ،وقال الله تعالى: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} [فاطر:١٠] ،وقال: {أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ} [الملك:١٦] . قال: ولو كان في كل مكان لكان في بطن الإنسان وفمه والحشوش والمواضع التي يُرغب عن ذكرها، ولو جب أن يزيد بزيادة الأمكنة إذا

(٣٩) الإبانة ص ١٥ – ٥٤ وانظر : الحموية ص٤٩٧

خلق منها مالم يكن، وينقص بنقصانها إذا بطل منها ما كان ،ولصح أن يرغب إليه إلى نحو الأرض] .([1])

ونقل عن أبي المعالي الجويي في كتابه (الرسالة النظامية) : (اختلفت مسالك العلماء في هذه الظواهر، فرأى بعضهم تأويلها، والتزم ذلك في آي الكتاب وما يصح من السنن، وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل، وإجراء الظواهر على مواردها،..... إلى أن قال :فقال: والذي نرتضيه رأياً وندين الله به عقيدة: اتباع سلف الأمة، والدليل السمعي القاطع في ذلك إجماع الأمة، وهو حجة متبعة، وهو مستند معظما لشريعة.) ([2])

(٤٠) نقض التأسيس ٤٣٤/٢ وانظر الحموية ص٥٠٧

٤١١) الرسالة النظامية ص ٣٢ وانظر الحموية ص ٥١٢

المبحث الخامس

الاحتجاج على المنتسبين لمذهب المعتزلة والفلاسفة بأقوال أئمتهم

ومما احتج به على الفلاسفة والمعتزلة أن أسلافهم وافقوا الحق في بعض المسائل التي خالف فيها بعض المنتسبين لهؤلاء ، ومما أورده في هذا المعنى على سبيل المثال :

قوله رحمه الله :(وهذا الذي قاله النظام هو الذي قصده ابن سيناء أيضا ، وهو الصواب الذي عليه أهل السنة والجماعة وجماهير العقلاء ، ولهذا قال ابن سيناء بعد ذلك كلاما صحيحا قال : ولا يجوز أن يكون الحادث ثابت الوجود بعد حدوثه بذاته حتى يكون إذا حدث ، فهو واجب أن يوجد ويثبت لا بعلة في الوجود الثابت) ([1])

(٤٢)الصفدية ١٨٣/٢

الخاتمة

في ختام هذه البحث المختصر ، يمكن استخلاص النتائج التالية :

- أن الحق يجب قبوله ممن جاء به ، سواء كان موافقا لك في بقية الأصول أم مخالفا
- أن هذه القاعدة امتثلها أهل السنة عمليا في ردودهم على المخالفين ، وبرزت واضحة لدى شيخ الإسلام في مؤلفاته وردوده على المخالفين .
- أن من أقوى أساليب الرد على المخالف أن تحتج عليه بقول من ينتسب إليه ويعظمه من أئمته وشيوخه المتقدمين عليه
- أن هذا المنهج طبقه شيخ الإسلام عمليا وبرز عنده أكثر من غيره من علماء السلف وذلك في مؤلفاته في الرد على المخالفين ،
- التزم شيخ الإسلام الدقة والموضوعية فيما نقله عنهم من مصادرهم الأصلية دون تحريف أو زيادة أو نقصان ، تبين ذلك جليا بمقابلة الأصول التي نقل منها .
- أن هذا المنهج أكثر ما استخدمه الشيخ في الرد على الأشعرية وأهل التصوف ، لكثرة مخالفة المتأخرين للمتقدمين من أئمتهم
- بيان الاضطراب والاختلاف والتناقض الذي وقع فيه هؤلاء المخالفون لأهل السنة ، ولأسلافهم المتقدمين

والله أعلم ، وصلى وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

ثبت المراجع

- إبطال التأويلات لأخبار الصفات للقاضي أبي يعلى

ت/ محمد بن حمد النجدي ، ط الأولى ١٤١٠هـ ، مكتبة دار الإمام الذهبي للنشر والتوزيع.

- الأسماء وصفات للبيهقي

عماد الدين أحمد حيدر ، ط الأولى ١٤٠٥هـ، دار الكتاب العربي –بيروت.

- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي

الناشر دار الكتاب العربي–بيروت.

- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر

مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبدالكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المملكة المغربية.

- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر

دار الفكر– بيروت .

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم

ط الثالثة ١٤٠٠هـ ، دار الكتاب العربي – بيروت.

- خلق أفعال العباد للبخاري

ت/ عبدالرحمن عميرة ، ط الثانية ، دار عكاظ للطباعة والنشر –جدة.

- درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية

ت/ د.محمد رشاد سالم ، ط الأولى ١٣٩٩هـ، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية– الرياض.

- الرسالة النظامية لأبي المعالي الجويني

ت/ د.أحمد حجازي السقا ، ط الثانية ١٣٩٩هـ ، مطبعة دار الشباب بالعباسية ، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة.

- السنن الكبرى للبيهقي

–وفي ذيله الجوهر النقي لابن التركماني – دار الفكر.

- سنن النسائي

–ومع شرح الحافظ السيوطي –دار الفكر– بيروت، ١٣٩٨هـ.

- السند لعبدالله بن الإمام أحمد.

ت/ محمد سعيد القحطاني ، ط الأولى ١٤٠٦هـ، دار ابن القيم –الدمام

- سير أعلام النبلاء.

ت/ جماعة من العلماء ، ط الأولى ١٤٠١هـ، مؤسسة الرسالة–بيروت

- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي

ت/ د. أحمد سعد حمدان ، ط الأولى ١٤٠٩هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع – الرياض

.

- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم

ت/ د. علي بن محمد الدخيل الله ، ط الأولى ١٤٠٨هـ، دار العاصمة – الرياض.

- العلو للعلي الغفار للذهبي

قدم له صحيحة / عبدالرحمن محمد عثمان ، ط الثانية ١٣٨٨هـ، مطبعة العاصمة – القاهرة ، الناشر المكتبة السلفية – المدينة المنورة .

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر

ت/ عبدالعزيز بن باز ، نشر وتوزيع رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء – الرياض.

• الفقه الأكبر رواية أبي مطيع البلخي
((ضمن مجموعة العالم والمتعلم)) ت/ محمد زاهد الكوثري ، ط ١٣٦٨هـ ، مطبعة الأنوار– القاهرة الناشر مكتبة الخانجي .
• فهم القرآن للحارث المحاسبي
– مع كتاب العقل للمؤلف نفسه –ت/ حسين القوتلي ، ط الثانية ١٤٠٢هـ.
• مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية
• جمع وترتيب / عبدالرحمن بن قاسم ، ط الأولى ١٣٨١ هـ ، مطابع الرياض
• معرفة علوم الحديث للحاكم
. اعتنى بنشره وتصحيحه والتعليق عليه / د. السيد معظم حسين ، ام ، ا، دي، أكسن، ط الثانية ١٩٧٧م المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر– بيروت
• مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري
عنى بتصحيحه / هلموت ريتر ، ط الثالثة، دار إحياء التراث العربي– بيروت ٤٦٠– مقدمة ابن خلدون دار الفكر.
• منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية
ت/ محمد رشاد سالم ، الأولى ١٤٠٦ هـ، أشرفت على طباعته ونشره إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
• نقض تأسيس الجهمية –مطبوع– لشيخ الإسلام ابن تيمية
تصحيح وتعليق/ محمد بن عبدالرحمن بن قاسم ، مؤسسة قرطبة